

الباب الأول

المقدمة

خلفية البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن أول علامة من علامات أن الله علم فينا الخير هو التفقه في الدين، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^١، ومن الثروة الفقهية التي خلفها لنا علماءنا الأفاضل كتاب سبل السلام للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله في شرح أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام من كتاب بلوغ المرام للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله، وهو من أنفع ما كتب في

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، رقم ٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢؛ النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (بيروت: دار الجيل؛ دار الأفاق الجديدة)، رقم ٢٤٣٦، ٢٤٣٩، ٥٠٦٥.

شرح أحاديث الأحكام حيث ذكر فيه وجوه استدلال العلماء بها وكيفية استنباطهم الأحكام.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الطريقة التي اتخذها الصنعاني في شرح الأحاديث تساعد على تكوين ملكة الاجتهاد لطلبة العلم الشرعيّ. لذلك قلّما تجد آية جامعة عنيت بالتضلع في الأحكام الشرعيّة لمنتسبيها إلا وللكتاب نصيب من الاهتمام.

وهذه الرسالة بعنوان الأحكام المبنية على الجمع بين الأدلة من كتاب البيوع إلى كتاب الجامع في كتاب سبل السلام للصنعاني تعالج أموراً مهمّة في كيفية استنباط الأحكام الفقهيّة من أدلتها التفصيليّة وهي إعمال الأدلة كلّها بالجمع بينها ما أمكن ذلك وعدم إلغاء أيّ منها.

ومن خصائص الشريعة الإسلامية أنّها نزيهة عن التناقض بين أحكامها لأنّها نزلت من عند العليم الحكيم خالق السماوات والأرضين. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. وقال: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فالقرآن كالمراجع الأول، آياتها متماسكة رصينة يبين بعضها بعضاً وليس هناك أي تعارض.

وكذلك شأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الثابتة، فدعوى وجود التعارض فيها مرفوضة، فالتعارض إنما يكون في نظر المجتهدين وتصورهم وليست في النصوص، فمن اتضح لهم سبيلا لحل التعارض سلكوه، ومن لم يتضح لهم توقفوا حتى يفتح الله عليهم، فالجمع بين النصوص مسلك أولويّ في دفع التعارض.

مشكلة البحث

ذكر الإمام الصنعاني في كتابه سبل السلام الأحاديث التي يبدو لقارئها لأول وهلة أنها تتعارض فيما بينها، وهذا البحث يدور حول الأمور التالية :

١. ما المسائل التي تتعارض فيها الأحاديث؟
٢. وما الطرق التي تسلك في الجمع بين الأحاديث المتعارضة؟
٣. ما منهج الإمام الصنعاني ومسالكه في الجمع بين الأدلة؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى :

١. معرفة المسائل التي تتعارض فيها الأحاديث
٢. معرفة الطرق التي تسلك في الجمع بين الأحاديث المتعارضة
٣. معرفة منهج الإمام الصنعاني ومسالكه في الجمع بين الأدلة

أهمية البحث

وتكمن أهمية البحث في :

١. صلته الوثيقة بفهم كتاب الله وسنة رسوله، وهما العصمة من الضلال في هذه

الحياة.

٢. ضرورة إرجاع المسائل إلى نصابها والحرص على إعمال النصوص بكليتها ما أمكن

إلى ذلك سبيلا.

٣. مسيس الحاجة إلى تطبيقات الجمع بين النصوص في كتاب مستقلّ يسهل الرجوع

إليه.

٤. لما كان كتاب سبل السلام من المصنفات المعتمدة في كثير من المعاهد الشرعية

والجامعات الإسلامية، كان الاهتمام به مقدما على غيره، خدمة لطلبة العلم.

الدراسات السابقة

لم يجد الباحث كتابا خاصا في الجمع بين الأدلة مع تطبيقاته في كتب السلام

إلا أنه قد كتب الأستاذ أرواني أمين الذي كتب في مثل هذا في النصف الأول من

كتاب سبل السلام، فالمؤلفات التي كتبت في أصول الفقه مثلا غالبا تتناول الحديث

عن الجمع بين الأدلة من حيث تنظير القاعدة وتأصيلها، ولا تأتي ببعض الأمثلة التطبيقية إلا لمجرد الإيضاح لا الحصر، مثل:

١. أصول الفقه الإسلامي لمؤلفه الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م؛ حيث ذكر فيه الكلام عن الجمع والتوفيق بين الأدلة عند الحنفية والشافعية مع الأمثلة التطبيقية في خمس صفحات.

٢. التعارض والترجيح وأثرهما في الفقه الإسلامي، تأليف الدكتور محمد إبراهيم محمد الحفناوي، دار الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م، وقد تكلم فيه المؤلف عن مدلول الجمع بين الأدلة وشروطه وكيفيته مع ذكر الأمثلة التطبيقية، شأنه في ذلك كشأن غيره من الأصوليين حيث لم يذكر من الأمثلة إلا بقدر ما اقتضاه توضيح القاعدة.

٣. رسالة في وجوب الجمع بين الأدلة تأليف وليد بن راشد السعيدان، سنة ١٤٢٥ هـ، كمذكرة لم تطبع بعد، ذكر فيه المؤلف خمسين مثالا يوفق ويجمع فيها بين النصوص التي يُتصور التعارض بينها من آيات القرآن ومتون الحديث.

٤. منهج الإمام الطحاوي في دفع التعارض بين النصوص الشرعية من خلال كتابه شرح مشكل الآثار، وهو رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير في جامعة أم

القرى، كتبه حسن عبد الحميد عبد الحكيم بخاري سنة ١٤٢٢هـ، وتكلم فيه

دفع التعارض بين النصوص الشرعية؛ إما بالجمع وإما بالترجيح وإما بالنسخ.

الإطار الفكري للبحث

إن المسائل التي تتعارض فيها الأحاديث كثيرة، مع أن الأحاديث في حقيقتها

لا تتعارض، وإن ظهر التعارض فهو في نظر المجتهدين. وللدفع على التعارض بين

الأحاديث لا بد من معرفة وجوه التعارض أولاً، ثم بعد ذلك حل ذلك التعارض

بمعرفة مسالك الجمع بينها.

وتلك المسالك هي: الأول الجمع بالتخصيص، والثاني : الجمع بالتقييد،

والثالث : الجمع بحمل الأمر على النذب، والرابع : الجمع بحمل النهي على الكراهة،

والخامس : الجمع بحمل اللفظ على المجاز، والسادس: الجمع باختلاف الحال، والسابع:

الجمع بالأخذ بالزيادة، والثامن : الجمع بجواز أحد الأمرين (التخيير).

منهجية البحث

يقوم البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يتمثل في استقراء

الأحاديث المتعارضة في ظاهرها وتحليلها بالنظر إلى ما قاله العلماء في فهمها من نسخ

وترجيح وجمع وتوقف، ثم تركيزه إلى ما قالوه في طرق الجمع بينها، وعلى هذا يكون البحث دراسة مكتبية.

فالمنهج يتطلب من الباحث فهم النصوص وبيان المراد منها والنظر إلى دلالاتها على الأحكام مع الاهتمام بملاساتها التي تساعد في معرفة وجه من أوجه الجمع في المسألة.

خطة البحث

تتمثل الخطة في أربعة أبواب وخاتمة وفهارس. الباب الأول يحتوي على : خلفية البحث، وأهميته، ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، والإطار الفكري، ومنهجية البحث، وخطة البحث.

وأما الباب الثاني فإنه يبين قاعدة الجمع بين الأدلة، ويحتوي على : تعريف الجمع بين الأدلة وشروطه، ومسالك الجمع بين المتعارضين.

أما الباب الثالث فإنه يتحدث عن كتاب سبل السلام ومصنفه

أما الباب الرابع فإنه يحتوي على تطبيقات الجمع بين النصوص المتعارضة في كتاب البيوع، وفي كتاب النكاح، وفي كتاب الطلاق، وفي كتاب الجنائيات والحدود،

وفي كتاب الجهاد، وفي كتاب الأُطعمة، وفي كتاب الأيمان والنذر وفي كتاب القضاء
وفي كتاب العتق، وفي كتاب الجامع.

أما الباب الخامس فهو الخاتمة التي تحتوي على النتائج التي توصل إليها الباحث
مع ذكر التوصيات التي تفيد الراغبين في القيام بالبحوث في الوقت القادم لتطوير ما
ينبغي أن يكملوه.

أما الفهارس فهي تحتوي على فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث
النبوية، وفهرس المسائل التطبيقية، وفهرس الأعلام، والمصادر والمراجع، وفهرس
محتويات البحث.